سلسلة شروح التوحيد

السنا الأمتع

في شرح

القواعد الأربع

كتبه

أبو عِكرمةِ وَلِيد بن فَضْل المَوْلَى الخَالدي

صدى السلفية للطباعة والنشر

قال محمد بن سيرين: [إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم] [مقدمة صحيح مسلم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فهذا شرح ميسر على القواعد الأربع؛ التي ألفها شيخ الإسلام ومجدد ملة إبراهيم عليه السلام، محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأجزل له الأجر والثواب وأدخله الجنة بغير حساب، وأصل هذا الشرح دروس كنت قد ألقيتها على إخواننا من طلاب العلم فقاموا -جزاهم الله خيرا- بتفريغها وطباعتها وعرضها عليّ، فقمت بتصحيح ما وقع فيها من أخطاء، وأضفت إليها بعض الإضافات والله عز وجل أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا الإخلاص له في جميع أمرنا، إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين .

شرح القواعد الأربع

قوله: [القواعدُ] لغةً : القواعد جمعُ قاعدة، وهي أسفلُ الشيء وأساسُه.

واصطلاحًا: حكم أغلبيٌّ ينطبق على أغلب جزئياته لتعرف أحكامها منه.

قوله: [الأربعُ] وهذا بيانٌ لعددِها، والعدُّ وسيلةٌ نبويَّة تعليميَّة، قال النبي ﷺ : «اثنتان في الناس هما بهم كفر»[1]، وقال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»[2]، فإذا قيل لك: كمْ عددُها ؟ فقلْ: أربعُ قواعد، ومراد الشيخ هنا المعنى اللغوي لا الاصطلاحي، فسماها بالقواعد لأن من فهمها وحفظها كانتْ له أساسًا في معرفة وفهم معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ومعرفة وفهم الدين الذي جاء به المرسلون، وهو التوحيد فيُتَّبع، ومعرفة وفهم الدين الذي كان عليه المشركون، وهو الشرك فيجتنب، وقد صرح الشيخ بهذا كما في الدرر (٢/ ٢٧): (فهذه أربع قواعد ذكرها الله في محكم كتابه، يعرف بها الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، فتدبرها، يرحمك الله، وأصغ إليها فهمك، فإنها عظيمة النفع)، وقال أيضا في الدرر (٢/ ٣٣): (هذه أربع قواعد من قواعد الدين، يميز بهن المسلم بين مذهب المسلمين من مذهب المشركين).

أما مؤلفها :

فهو الإمام المجدِّدُ أبو الحسين محمدُ بنُ عبد الوهاب بن سليمان بن عليّ التميميّ النجديّ، المولود بالعُيَيْنة عام ١١١٥هـ، و المتوفى بالدرعية عام ١٢٠٦ هـ.

---

(١)أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث أنس رضي الله عنه.

المتن، قال المؤلِّف رحمه الله: [بسم الله الرحمن الرحيم، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أنَّ الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهمَّ ما عليك معرفة ذلك، لعلَّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه].

الشرح

ابتدأ الشيخ رحمه الله هذه الرسالة المباركة بالبسملة وذلك لأمور هي :

أولا : تأسيًا بكتابِ الله عز وجل حيثُ جاءتْ البسملةُ في بدايةِ كلِ سورة من سوره عدا سورة براءة .

ثانيًا : لأنَّ أولَ ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١]، فطريق التأسِّي به الافتتاح بالبسملة .

ثالثا: تأسيًا بالنبي ﷺ حيثُ كان يبدأ مكاتباته ومراسلاته بالبسملة ،كما جاء في صحيح البخاري في كتابه إلى هرقل وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى»[(١)] الحديث.

رابعًا: التبركُ والاستعانة بالبداءة باسم الله عز وجل.

خامسًا: اتباعًا للسلف الصالح رضوان الله عليهم كما هو صنيع الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه .

تنبيه: درجَ كثيرٌ منْ أهلِ العلمِ عند شرحِهم للبسملةِ على إيراد حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أقطع»[(٢)]، تعليلًا للبداءة بالبسملة، وهذا تعليل بالضعيف، والتعليل بالضعيف عليل، وآفةُ هذا الحديث كما قالَ العلامةُ الألباني رحمه الله في "إرواء الغليل" (١/ ٢٩) : (وهذا سند ضعيف جدًا، آفته ابن عمران هذا، ويعرف بابن الجَندي ترجمه

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطيب في "تاريخه"(٥ / ٧٧) وقال: كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه؛ يعني التشيُّع).

* استهلَّ الشيخ رحمه الله هذه الرسالة المباركة بمقدمة، وهذه المقدمة قد اشتملت على أمور :

الأول: الدعاءُ لطالب العلم.

الثاني : بيانُ ملَّة إبراهيم .

الثالث :بيانُ الغاية من خلق الخلق .

الرابع : بيانُ التوحيد وأهميَّته.

الخامس : بيانُ الشرك وخطره وضرره.

وهاك بيان ذلك :

أولاً : الدعاء لطالب العلم .

قوله : (**أسأل الله الكريم رب العرش العظيم**...) ، بدأ الشيخ رحمه الله بالدعاء لطالب العلم متأسِّيًا في ذلك بالنبي ﷺ، فكان من هديه وسنَّته أن يدعو لطلبة العلم، كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنّه ﷺ قال: «نضر الله امرأً سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»[1]، وقال في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: « اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل» [2]، ودعاء الشيخ رحمه الله لطلبة العلم دليل على حرصه على هداية الناس وإرادة الخير لهم وأنّه حريصٌ على سعادتهم ونجاتهم، والشيخ هنا يجمع لطالب العلم بين فائدتين، الأولى : يدعو له ، والثانية : يعلِّمه، والتعليم أيضًا من سنَّة النبي ﷺ، ودليل ذلك أنه ﷺ قضى حياته كلَّها في العلم والتعليم، قال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ

(١) أخرجه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت ، وابن مسعود وغيرهما، وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صحيح، وأصله في البخاري.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران:١٦٤]، وقال أيضًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة:٢]، وأوصى بطلبة العلم فقال : كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ واقنوهم »[(١)] قلت للحكم، ما اقْنُوهُمْ ، قال: عَلِّمُوهُمْ ، وفي دعاء الشيخ هذا بيانٌ لبعض آداب الدعاء :

الأول: الثناء على الله بين يدي الدعاء: فإن قال قائل : ما الدليل على أن الثناء على الله بين يدي الدعاء من آدابه ؟

قلنا : الدليل سورة الفاتحة، وأيضًا الحديث الذي أخرجه الترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلَّى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال ﷺ «عجلت أيها المصلِّي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصلّ عليَّ ثم ادعه »[(٢)]، الحديث.

الثاني: سؤال الله بربوبيته: فإن قال قائل : ما الدليل على أنَّ سؤال الله بربوبيته من آداب الدعاء ؟

قلنا : الدليل في دعاء الأنبياء عليهم السلام ، قال الله تعالى عن آدم عليه السلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف:٢٣]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[نوح:٢٨]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ

---

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، وحسنه الألباني رحمه الله.

(٤) أخرجه الترمذي وغيره، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وجاء عن غيره، وصححه الألباني رحمه الله.

أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾[يونس:٨٨]، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾[يوسف:١٠١] وغير ذلك.

والسِّرُ في سؤالِ الله بربوبيته أنَّ فيه إظهارٌ للانكسارِ والذلِّ والفقر والحاجة، وأنَّ العبدَ يَسألُ منْ بيدِه أزِمَّة الأمورِ.

الثالث: سؤال الله بأسمائه وصفاته: والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، و(**الكريم**) من أسماء الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾[الإنفطار:٧].

الرابع: سؤال الله بربوبيته للعرش: والدليل قول النبيِّ ﷺ في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم»[1]، و(**العرش**): أعظم المخلوقات، وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾[الحاقة:١٧].

قوله : (**أن يتولَّاك في الدُّنيا والآخرة**)، هذا دعاءٌ من الشيخ رحمه الله لطالب العلم بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

والولاية ولايتان :

الأولى: ولاية الله للعبد: وهي أن يجلب له المنافع ويدفع عنه المضارّ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٢٥٧]، فقوله: ﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ فيه إشارة إلى دفع المضار، وقوله:﴿إِلَى ٱلنُّورِ ﴾فيه إشارة إلى جلب المنافع.

وولاية الله للعبد ثمرةٌ لولاية العبد لربه ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأنعام:١٢٧]، والباء في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ ﴾ سببية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الأعراف:١٩٦] ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، والصالحون: جمع صالح : وهم الذين أقاموا ظواهرهم وبواطنهم على وفق ما أراد الله ورسوله ﷺ، فهؤلاء لما تولَّوُا الله بصلاح العقائد وصلاح العبادة وصلاح الأخلاق تولَّاهم الله تبارك وتعالى .

الثانية : ولاية العبد لله: وهي الدوران مع أوامره ونواهيه فعلًا وتركًا، قال النبي ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددِّي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»، رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومعنى:(**أن يتولَّاك في الدنيا والآخرة**) أن يجلب لك المنافع الدنيويَّة والدينيَّة، وأن يدفع عنك المضار الدنيويَّة والدينيَّة، وهذا دعاء بجوامع الكلم، وهي دعوة ما تركت خيرًا إلَّا شملته، ولا شرًّا إلَّا عمّته، والدعاء بجوامع الكلم من هديه ﷺ وسنته، كما قالت عَائِشَة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك[1].

---

(١)أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

ومنه وقوله ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»[١]، ومنه قوله لعائشة رضي الله عنها في دعاء ليلة القدر : «اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عنِّي»[٢] .

قوله : (**وأن يجعَلَكَ مبَارَكًا أينمَا كنت**).

البركة: ترجع إلى أحد معنيين بحسب اشتقاقها، فإن قلنا : إنها مشتقَّة من البِرْكَة (مجمع الماء)، فمعناها حينئذٍ الزِّيادة والنَّماء، وإن قلنا: إنها مشتقَّة من بُرُوكِ البعير؛ فمعناها حينئذٍ: الثَّبات واللزوم، فيكون معنى قوله : (**أن يجعلك مباركا أينما كنت**): أي أن يجعلك ثابتًا على الحق ملازمًا له في زيادةٍ ونماء منه، وأخذ هذه من قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم:٣٠-٣١]، والشاهد قوله: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾، أي في حلِّك وترحالك في دنياك وآخرتك، وهذه الدعوة أيضًا من جوامع الدعاء فمن نالته هذه الدعوة حصل له الخير كلُّه.

قوله :(**وأن يجعَلَكَ ممن إذا أُعطي شَكَرَ، وإذا ابتلي صَبرَ، وإذا أذنَب اسْتَغفَرَ**).

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الدعاء أن ينبه طلبة العلم إلى أن العبد لا خروج له عن طاعة الله في أوقاته كلِّها، فما من حال يكون عليها العبد إلَّا ولله عليه فيها عبادة وعبوديَّة يجب أداؤها، وهذه الأحوال تستغرق حياة المسلم كلَّها، وعلى هذا فالشيخ رحمه الله يدعو لك أن تكون ملازمًا لطاعة الله مؤدّيًا لما أوجب الله عليك في حياتك كلِّها .

---

(١)أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢)أخرجه الترمذي وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

الشكر

قوله :(وأن يجعَلَك مِمّن إذا أُعطِيَّ شَكرَ).

هذا دعاء من الشيخ لطالب العلم أن يوفقه الله للشُّكر عند العطاء، والشُّكر عبادةٌ عظيمةٌ، وهي دأب الأنبياء، قال الله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣]، وقال تعالى حاكيًا عن إبراهيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[النحل:١٢٠-١٢١]، والشكر مع كونه عبادة فهو سبب في زيادة النعم وبقائها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧]، وعدمه سبب في زوال النعم قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[النحل:١١٢]، والشاهد من الآية :أن الله تبارك وتعالى منّ على هذه القرية بنعمتين عظيمتين هما قِوامُ الحياة: (الأمن والرزق)، فلمّا لم يقوموا بالشكر بدَّل الله حالهم وغيّر أوضاعهم، وهذه سُنّة الله في خلقه، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١]، وقال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال:٥٣]، فجعل الله الجوع بدل ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ﴾، والخوف بدل ﴿ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾، وبيّن الله السبب في ذلك فقال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ، والباء سببية، و(ما) موصولة بمعنى (الذي)، والمعنى بسبب الذي كانوا يصنعون.

قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في الدرر السنية(١/ ٤٦٣): (والشكر قَيْدُ النعمة، إن شُكرت قرَّت وإن كُفرت فرَّت).

تعريف الشكر: الشكر لغةً: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان.

وشرعًا: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً، ويظهر من التعريف أن موارد الشكر ثلاثة، كما قال الشاعر:

أفَادَتْكُمُ النَّعْمَاء منِّي ثَلاثة يدِي ولِسَاني وَالضَّمير الـمُحَجَّبَا

فاليد: إشارة إلى الجوارح، والضمير المحجَّبا :القلب، فالشكر يكونُ بالقلبِ شهودًا ومحبَّةً، وباللِّسانِ ثناءً واعترافًا، وبالجوارحِ طاعةً وانقِيادًا.

وأركانُ الشكرِ ثلاثة:

١- الاعترافُ بالنعمة ٢- إضافتُها للمنعِم ٣- صرفُها في طاعة المنعِم

قال تعالى حاكيًا عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النمل:١٩]، فقوله: ﴿ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ فيه الاعتراف بالنعمة وإضافتها للمنعم، وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ فيه صرفها في طاعة المنعم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في تيسير العزيز الحميد(صـ ٥٤٤): (وأمَّا الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدّى حق الله فيها، فاستحقَّ الرِّضَى من الله بقيامه بشكر النِّعمة لـمَّا أتى بأركان الشكر الثَّلاثة؛ التي لا يقوم الشُّكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب).

وقال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله كما في الدرر السنية (١/ ٤٦٢) : (ومبنى الشكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها، والثناء بها على مُسْدِيها، واستعمالها في ما يحبُّ مُولِيها ومُعطيها، فمن كملت له هذه الثلاثة، فقد استكمل الشكر، وكلما نقص العبد منها شيئًا، فهو نقص في إيمانه وشكره، وقد لا يبقى من الشكر ما يعتدُّ به ويثاب عليه).

الصبر

قوله : (وإذا ابتلي صَبَرَ).

هذا دعاء آخر من الشيخ رحمه الله لطالب العلم بأن يُوَفَّق لأداء عبادة الصبر عند البلاء، والصبر عبادة أمر الله بها نبينا محمدًا ﷺ، قال ﷻ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[النحل:١٢٧]، والأمر له ﷺ أمر لنا؛ بل إنَّ الله تعالى أمرنا أمرًا مستقلًّا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

تعريفُ الصبرِ :

والصَّبرُ لغة : الحبس ، ومنه (قُتِلَ فُلانٌ صَبرًا) : أي حبسًا .

وشرعًا : حبس القلب واللِّسان والجوارح على طاعة الله وعلى أقدار الله وعن معصية الله .

ويظهر من التَّعريف أنَّ الصَّبر يكون على ما أمر الله به من الطاعات حتَّى تُؤدَّى، وصبرٌ على المحرَّمات فتُترَك، وصبرٌ على أقدارِ الله بكفِّ النَّفس عن الجزع، واللِّسان عن التشكِّي والتسخُّط، والجوارح عن كلِّ عملٍ يدلُّ على عدم الرِّضَى والتَّسليم.

وينقسم الصبر إلى قسمين :

١-صبر محمود: وهو ما مضى بيانه، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[لقمان:١٧] .

٢-صبر مذموم: وهو حبس القلب واللسان والجوارح على أضداد ما مضى، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾[ص:٦]، وقال تعالى: ﴿ إِن كَادَ

لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الفرقان:٤٢].

والصبرُ بحسب ما يُعدّى به ينقسم إلى ثلاثةِ أقسام:

١- **صبر بالله:** والمراد به الاستعانة بالله على الصَّبر، والتبرُّؤ من الحول والقوَّة، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[النحل:١٢٧]، والمعنى : لا معين لك على الصبر إلا الله فاطلب الصبر منه، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾[البقرة:٢٥٠]، وقال النبي ﷺ : « وما أعطى الله أحدًا من عطاءٍ أوسعَ من الصَّبر»(١).

٢-**صبر لله :** والمراد به الإخلاص في الصبر بأن يريد بصبره وجه الله وثوابه، قال تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾[المدثر:٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد:٢٢] .

٣-**صبر مع الله :** أي مع أمره ونهيه، فيصبر حتى يمتثل أمر الله، ويصبر ليجتنب ما نهى الله عنه، قال تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم:٦٥] .

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

الاستغفار

قوله :(**وإذا أذنَب اسْتَغفرَ**).

وهذا دعاء من الشيخ رحمه الله لطالب العلم أنْ يوفقه الله للاستغفار عند مواقعة الذنوب، والاستغفار: هو طلب المغفرة من الله.

والمغفرة : هي ستر الذنب وإزالة أثره، ومنه سُمِّيَ المِغفرُ مِغْفَرًا؛ لأنَّه يستُر الرَّأس ويَقِيهِ الضرب، فالمغفِرَة سترٌ ووِقايَةٌ.

وهذه الدعوات الثلاث يجمعها لك قوله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه:« عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلّه خيرٌ، وليس ذاك لأحدٍ إلَّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءَ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء، صبر فكان خيرًا له»، فالشُّكر يكون عند السرَّاء، والصبر يكون عند الضرَّاء، فإذا حصل تقصيرٌ في الأمرين أو في أحدهما جُبِر بالاستغفار .

قوله :(**فإن هؤلاء الثلاث عُنْوان السَعَادَة**).

مراده من هذه العبارة رحمه الله أنَّ منْ وُفِّقَ لتحقيق هذه المقامات الثَّلاث كان هذا دليل سعادته في الدنيا والآخرة.

قوله: (**اعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ : أَنَّ الحنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَه مُخْلِصًا لَهُ الدِّين...**) .

فقوله: (**اعْلَم**)، كلمة يؤتى بها للدلالة والتنبيه على أهمية ما سيأتي بعدها، وهي أمر بتحصيل العلم وأسبابه، فإذا سمع طالب العلم هذه الكلمة فينبغي عليه أن يكون حاضرًا بسمعه وقلبه و بجميع حواسه؛ لما سيلقى بعدها من مهمات الأمور والعلوم.

قوله: (أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ).

جملة دعائية، قوله: (أَرْشَدَكَ)، أي ألهمك رشدك وهداك، والرشد والهدى كالإسلام والإيمان، إذا اجتمعا لفظًا افترقا معنًى، وإذا افترقا لفظًا اجتمعا معنًى، فالهدى هو العلم بما ينفع، والرشد العمل به .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في الإغاثة (٢/ ١٦٨): (فإن الرشد هو العلم بما ينفع، والعمل به، والرشد والهدى إذا أفرد كل منها تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما فالهدى هو العلم بالحق، والرشد هو العمل به، وضدهما الغَيُّ واتباع الهوى).

و الهداية نوعان:

١-**هداية الدلالة والبيان** : ومعناها بيان سبيل الخير وسبيل الشر كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[1][البلد:١٠]: أي وضَّحنا وبيَّنا طريقَي الخير والشَّر، وهذه عامَّة تضاف لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ وللعلماء والدُّعاة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى:٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة:٢٤]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧] .

٢-**هداية التوفيق و الإلهام** : وهذه خاصة بالله تعالى، فهو وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يهدي قلوب عبادِهِ للاستقامة على دينه وعلى طاعته، وقد نفى الله عَزَّوَجَلَّ هذه الهداية عن نبيِّه ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[القصص:٥٦]، فإذا كانت هذه الهداية منتفية عن النبيِّ ﷺ فغيره من بابٍ أولى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد جعل هذا النوع من

---

(١) قال أكثر المفسرين : (إنا هديناه السبيل، أي بيَّنا له سبيل الحقِّ والباطل والهدى والضلالة، وعرَّفناه طريق الخير والشر، إما شاكرًا وإما كفورًا، إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شقيًا)، تفسير البغوي (٨/ ٤٣١) .

الهداية من أدلة استحقاقه ﷻ للعبادة وحده دون ما سواه، فهو وحده الذي يملك هداية القلوب.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس:٣٥].

إشكال:

قوله : (**أرشدَك الله لطاعَته**...)، فيه إشكالٌ مورده ما أخرجه الترمذي من حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «كان إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه»[١].

والجواب على هذا الإشكال من وجهين:

الأول: أن الأمرَ في ذلك واسعٌ فقد ثبت عن النبي ﷺ في غير ما حديث أنّه دعا لغيره ولم يدع لنفسه كما في دعائه لابن عباس رضي الله عنه، قال: «اللهم فقِّههُ في الدين، وعلِّمه التَّأويل»[٢]، و قال: «رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[٣]، وقال : «رحم الله لوطًا كان يأوي إلى ركنٍ شديد »[٤] .

الثاني: أنَّ الدعاء للغير دعاء للنفس لقول النبي ﷺ: «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل»[٥] .

قوله : (**لطاعَتِه**)، الطَّاعة امتثال الأمر وترك النَّهي اختيارًا، وهذا الدُّعاء يجمع لك أنواع الهداية، يعني وفَّقك للعلم بطاعته وللعمل بها والاستقامة عليها.

---

(١)أخرجه الترمذي وغيره من حديث أَبي ابن كعب رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنه وأصله في البخاري.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم، وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

قوله: (أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) أي طريقته ودينه، والملَّة: الدِّين، وهذه الملَّة أُمر رسولنا ﷺ باتِّباعها.

قال تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣]، والأمر له أمر لأمته ، بل قد أمر الله الأمة أمراً مستقلاً قال ﷻ: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران:٩٥].

بل بيَّن الله ﷻ أنه لا يرغب عنها إلا السفهاء قال تبارك وتعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[البقرة:١٣٠].

الحنف لغةً: الميل، وقيل الاستقامة، والمعنيان متلازمان، ومنه قول أم الأحنف بن قيس:

وَاللهِ لَـوْلَا حَنَـفٌ بِرِجْلِـهِ مَا كَـانَ فِي فِتْيَـانِكُمْ مِنْ مِثْلِـهِ .

وشرعًا: له عدة تعريفات هي :

الأول: هو الإقبال على الله والإعراض عما سواه .

الثاني: هو القيام بالتوحيد والترك للشرك والتنديد .

الثالث: هو الميل عن الشرك قصدًا للتوحيد .

الرابع: هو معنى : لا إله إلا الله .

الخامس: هو تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : (**أن تعبد الله مخلصًا له الدين**).

وهذه العبارات مختلفةٌ في ألفاظها متفقةٌ في معانيها وقد جاءت كثير من الآيات تحمل هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وقوله تعالى حاكيًا عن يوسف: ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨]، فقوله: ﴿ مَا كَانَ ﴾ في الآية ، تأتي على معنيين :

الأول : النفي.

الثاني : النهي.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]).

﴿ مَا ﴾: نافية، و﴿ خَلَقْتُ ﴾ : أوجدت من العدم، و﴿ الْجِنَّ ﴾: عالم غيبيٌّ مخفيٌّ عنَّا، ومادَّة الـ(جيم والنُّون) في لغة العرب تدل على الخفاء والاستتار، تقول :جنّ الليل: ستر الأشياء بظلامه، والمجنون: لاستتار عقله، والجنين: لاستتاره ببطن أمِّه، والجنَّة لاستتار ما بداخلها بالأشجار، ﴿ وَالْإِنسَ ﴾: المراد بهم بنو آدم وسُمُّوا إنسًا من الإيناس وهو الرُّؤية والإحساس، وقد قدَّم الله الجنَّ على الإنس لتقدُّم خلقهم قال تعالى ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر:٢٧] ، ﴿ إِلَّا ﴾: أداة استثناء ، و﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾: اللام :للتعليل، والتعليل هنا للغاية بمعنى أنَّ الله خلقهم لعبادته فقد يعبدونه وقد لا يعبدونه، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[النساء:٦٤]، فقد يطاع وقد لا يطاع، وفي هذه الآية حصر الغاية من خلق الجنِّ والإنس في العبادة، ووجه الحصر [**الاستثناء المسبوق بالنفي**]، وهذا فيه ردٌّ على من قال: (إنَّ الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ)، و﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾: أي ليوَحِّدون، هذا تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد سبقه إليه البغوي[1]، وقال مجاهد: ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾:إلا لآمرهم وأنهاهم، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا هو التَّفسير الراجح؛ لأن التَّوحيد يدخل في جملة الأوامر والشِّرك يدخل في جملة النواهي، و هذا هو الشَّاهد للحنيفيَّة ، **والحنيفيَّة** : هي عبادة الله وترك ما سواه .

---

(١) قال البغوي في تفسيره(٤/ ٢٨٨): (وقيل إلا ليعبدون؛ إلا ليُوَحِّدُون).

العِبَادَة

العبادة لغةً: هي الذُّلُ والخُضُوعُ؛ يقال : طريقٌ مُعَبَّدٌ : إذا كان مُذَلَّلًا بوَطْءِ الأقدام، ومنه قول طَرَفَة بن العَبْد في معلقته :

تُبَـارِي عِتَـاقًا نَاجِـياتٍ وأَتْبَعـت وَظِيـفًا وظيـفًا فوقَ مَـوْرٍ مُعَبَّـدِ

معنى البيت: (تُبَارِي): تُسابق، (العتاق): النُّوق الكرام، (الناجيات): السريعات، (الوظيف): عظم الساق، (المعبد): المذلَّل.

وشرعًا : تعرف باعتبارين:

١- **باعتبار المتعبد به** (**أي أفراد وأنواع العبادة**): وعلى هذا الاعتبار تُعرَّف بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهو أنَّ العبادة :اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[1].

شرح التعريف : (اسم): لدخول (أل) عليها أي (العبادة)، (جامع):أي يحوي ويشمل أشياء كثيرة، (لكلِّ ما): (ما) موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم، (يحبه الله ويرضاه): كيف نعرف بأنّ الله عز وجل يحب هذا الأمر ويرضاه؟ الجواب: إذا أمر به أمر إيجابٍ أو أمر استحبابٍ، أو أثنى على فاعله، أو رتَّب على فعله ثوابًا أو على تركه عقابا، قوله:(من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)

والأقوال عند أهل السنة نوعان:

النوع الأول: الأقوال الباطنة: والمراد بها اعتقاد القلب وتصديقه وإقراره ، والدليل حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريَّة، فصبَّحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلًا فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقال ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنَّما قالها خوفًا من السلاح،

(١) العبودية: (صـ : ٤٤).

قال:«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها عليَّ حتَّى تمنَّيت أنِّي أسلمت يومئذ[١] .

النوع الثاني : الأقوال الظاهرة : كالتَّلفظ بالشَّهادتين، والأذان، والتلبية، وقراءة القرآن، والأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

وكذلك الأعمال عند أهل السنة تنقسم إلى قسمين :

الأعمال الباطنة : وهي أعمال القلوب كالخوف، والخشية، والخشوع، والصدق، والإخلاص.

الأعمال الظاهرة : وهي أعمال الجوارح كالصلاة، والصوم، والحجِّ، والزكاة، والجهاد، وإماطة الأذى عن الطريق،...الخ .

٢- باعتبار التعبد (أي فعل العبادة): وتعريفها بهذا الاعتبار أن يقال: هي التَّذلُّل والخضوع لله تعالى وحده بفعل أوامره وترك نواهيه محبَّة وتعظيمًا على وفق الشرع، قال القرطبي رحمه الله: (وسُمِّيَت وظائف الشرع عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذلِّلين لله)[٢]،وهذا المعنى هو الذي ذكره ابن القيم رحمه الله: في نونيَّته فقال:

وعبادة الرحمن غـــــاية حبِّه ... مع ذلِّ عابده هما قطبـــــان

وعليهما فَلَكُ العبـــــادةِ دائرٌ ... ما دار حتَّى قامت القُطْبـــان

ومداره بالأمرِ أمرِ رســـــوله ... لا بالهوى والنَّفس والشَّيطان

فقيام دين الله بالإخلاص والْـ ... إِحْســـــان إنَّهما له أصلان

قوله: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) انظر "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (١/ ٩٦).

من أين حصلت للطالب هذه المعرفة؟ الجواب :من الآية السابقة وهي قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦].

قوله :(فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ).

مراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان أهميَّة التَّوحيد، وأنَّه الأساس في قبول الأعمال، وأن من عبد الله بلا توحيد بمنزلةِ من لم يعبد الله، لأنَّ كلاهما لم يفعل ما أُمِر به شرعًا، وهذا واضح في الذي لم يعبد الله البتة، وأما من عبد الله بدون توحيد فوَجْهُ كونه بمنزلة من لم يعبد الله البتة؛ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بعبادة مقرونة بالإخلاص، قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء:٢٥]، فالذي لم يعبد الله البتَّة لم يمتثل أمر الله، والذي عبد الله بدون توحيد لم يمتثل أمر الله بل فعل عكس المراد، فعبد الله بعبادة مقرونة بالشرك، والله عَزَّوَجَلَّ إنَّما أمرنا بعبادةٍ مقرونةٍ بنفْيِ الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء:٣٦]، وقال تعالى:﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[النور:٥٥]، وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾[الرعد:٣٦]، وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الجن:٢٠]، وفي البخاري من حديث أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سأله هرقل عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وفي حديث وفد عبد القيس «آمركم بأربعٍ وأنهاكم عن أربعٍ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا»[(١)]، وفي مسلم من حديث عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك، قال: «على أن

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا»، وفي الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا».

ثم أتى الشيخ بمثال يريد به تقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان؛ ألا وهو اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، فالذي يصلِّي بغير طهارة لا يسمَّى مصلِّيًا، وفعله لا يسمَّى صلاةً لأنه أخلَّ بشرط من شروط الصلاة وهو الطهارة، وقد قال النبيُّ ﷺ للمسيء في صلاته: «ارجع فصلِّ فإنَّك لم تصلِّ» مع أنه كبَّر وقرأ وركع وسجد وأتى بأعمال الصلاة، ولكن لما فقدت صلاته ما لا تصحُّ إلا بوجوده وهو الطمأنينة لم تُعتَبر شرعًا، وكذلك الذي يعبد الله بغير توحيدٍ فإنَّ فعله لا يسمَّى عبادةً، ولا يوصف هو بأنه عابد لله.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله في الدرر (١/ ٢٩٢) في تقرير هذا المعنى: (فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدَّال على الوصف والثبوت، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتَّجدُّد، وقد نبَّه ابن القيم رحمه الله على هذا المعنى اللطيف في بدائع الفوائد، فقال لما انجرَّ كلامه على سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، قال: وأما المسألة الرابعة، وهو أنَّه لم يأت النَّفي في حقِّهم إلَّا باسم الفاعل، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارةً، وباسم الفاعل أخرى.

وذلك -والله أعلم- لحكمةٍ بديعةٍ، وهي: أن المقصودَ الأعظم، براءته من معبوديهم بكلِّ وجهٍ، وفي كل وقتٍ، فأتى أوَّلًا بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتَّجدُّد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل، الدالة على الوصف والثبوت، فأفاد في النفي الأول: أن هذا لا يقع منِّي، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلًا لي ولا وصفًا، فأتى بنفيَيْن لمنفيَّيْن مقصودين بالنَّفي.

وأما في حقِّهم، فإنَّما أتى بالاسم الدَّال على الوصف والثبوت، دون الفعل؛ أي: الوصف الثَّابت اللَّازم للعابد لله، منتف عنكم، فليس هذا الوصف ثابتًا لكم، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة، لم يشرك معه فيها أحدا، وأنتم لما عبدتم غيره، فلستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإن المشرك يعبد الله، ويعبد معه غيره، كما قال تعالى عن أهل الكهف ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الكهف:١٦]، أي اعتزلتم معبوديهم، إلا الله، فإنكم لم تعتزلوه، وكذا قول المشركين، عن معبوديهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، فهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف؛ لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتًا على عبادة الله، موصوفًا بها.

فتأمَّل هذه النُّكتة البديعة، كيف تجد في طيِّها أنه لا يوصف بأنه عابد لله، وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتَّل إليه تبتيلًا، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحدًا في عبادته؛ وأنه إن عبده وأشرك به غيره، فليس عابدًا لله، ولا عبدًا له؛ وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهمًا من عنده، فله الحمد والمنة).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره: (قل للكافرين معلنًا ومصرِّحًا ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرًا وباطنًا، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمَّى عبادةً، ثم كرَّر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا.

ولهذا ميَّز بين الفريقين، وفصَّل بين الطائفتين، فقال: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٤]، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[يونس:٤١].

والمثال الذي أتى به الشيخ رحمه الله أراد به التقريب، وإلَّا فإنَّ اشتراط التوحيد آكدُ من اشتراط الطهارة للصلاة؛ لأنَّ الإنسان ربَّما صلَّى بغير طهارة لعذرٍ ما وصحَّت صلاته، وأمَّا التوحيد فاعتقاد قلبيٌّ لا يتخلف، والشيخ كثيرًا ما يضرب الأمثلة لتقرير هذا المعنى كما في قوله رحمه الله كما في الدرر(١/ ١٥٦): (قال الله تعالى في الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨]، وتصير عبادته كلها كمن صلَّى ولم يغتسل من الجنابة، أو كمن يصوم في شدَّة الحر، وهو يزني في أيام الصوم)، وقال أيضًا في الدرر(١/ ١٦٧): (المسألة الرابعة: معرفة أن محمدًا ﷺ أخبرنا عن الله، أن أفضل الخلق من الملائكة والأنبياء، لو يجري منه الشرك من غير اعتقاد، أنه ممن حبط عمله، وحرمت عليه الجنة، فكيف بغير الأنبياء والملائكة؟! فهذه المسألة الرابعة، إن عرفتها في أربع سنين فنِعِمَّا لك، لكن تعرف أن المتوضِّئ ينتقض وضوؤُه بقطرة بول، مثل رأس الذُّباب من غير قصد، ولكن قلَّ من يعرفها) .

التوحيد

التوحيد لغةً : مصدر(وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا)؛ ومدار المادَّة على الانفراد، ومنه قولهم جاء فلان وحده؛ يعني منفردًا.

وشرعًا: هو إفرادُ الله ﷻ بما يختصُّ به من الرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصِّفات[1] .

أقسام التوحيد :

١-توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله، والإقرار به وحده لا يكفي في الدخول في الإسلام، وهذا النوع من التوحيد لم تقع فيه الخصومة، ولو كان الإقرار بهذا النوع يكفي لكان إبليس وفرعون وأبو جهل من جملة أهل الإيمان، وهذا النوع من أدلة وبراهين توحيد الألوهية .

٢-توحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة، أو إفراد الله بأفعالنا، وهذا الذي بُعثت الرسل لتقريره، وهو الذي وقعت فيه الخصومة، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، والدليل قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل:٢]، وقولة تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، وغير ذلك من الآيات .

٣-توحيد الأسماء والصفات : وهو إفراد الله بأسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

*لم يأت دليل من القرآن ولا من السنة على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام؛ وإنما دلَّ على هذا التقسيم الاستقراء والتتبُّع لنصوص الكتاب والسنَّة.

---

(١) "القول المفيد على كتاب التوحيد" للعلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين رحمه الله (١/ ١١).

والاستقراء لغةً: مأخوذ من قولهم استقرأ الأمور إذا تتبَّعها لمعرفة أحوالها.

واصطلاحًا: هو تتبُّع الجزئيات للحصول على حكمٍ كليٍّ، قال الأخضري في السلم:

وإن بجزئيٍّ على كلِّي استُدلْ فذا بالاستقراء عندهم عُقِلْ

فالعلماء تتبَّعوا نصوص الكتاب والسنة، فتحصَّل عندهم أنَّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ومن الآيات الجامعة لهذه الأقسام قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا توحيد الألوهية، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، توحيد الربوبية، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، توحيد الأسماء والصفات، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هذا توحيد الربوبية، و﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هذا توحيد الألوهية، وفيها أيضًا توحيد الأسماء والصفات لأنَّ الله تعالى سمَّى نفسه (الربُّ والملِكُ والإلَهُ).

وقد رد أهل البدع هذا التقسيم الاستقرائي دون غيره من التقسيمات التي قلَّ أن يخلو منها كتاب، وزعموا أنه كتثليث النَّصارى، وشتَّان بين الأمرين، والردُّ عليهم بما رَدَّ الله به على أسلافهم، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠]، فأقسام التوحيد الثَّلاثة هذه راجعةٌ إلى واحدٍ وهو الله، وتقريرها وتدريسها للنَّاس فيه حمايةٌ وصيانةٌ لحقِّه سبحانه بخلاف ما عند النَّصارى، فتثليثُهم راجعٌ إلى آلهةٍ ثلاثٍ، وقد قادهم هذا التَّثليث إلى الشرك بالله، وجعل حقِّه لغيره، فكيف يُسوَّى بين النقيضين.

شتَّان بين الحالتين إن ترد جمعًا فما الضدَّان يجتمعان

قال الشنقيطيُّ في أضواء البيان(٣/ ١٧-١٨): (وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوَّل: توحيده في ربوبيَّته، وهذا النوع من التوحيد جُبِلت عليه فِطَرُ العقلاء...

الثاني: توحيده جلَّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾...

النوع الثالث: توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته...).

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه "التحذير من مختصرات الصابوني" (صـ٣٠):

(هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدِّمي علماء السلف، أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرَّره الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين، رحم الله الجميع.

وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطَّرد لدى أهل كلِّ فنٍّ كما في استقراء النُّحاة كلام العرب، إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يَعْتِبْ على النحاة في ذلك عاتبٌ، وهكذا من أنواع الاستقراء).

ما هي العلاقة بين أقسام التوحيد ؟

*العلاقة بين توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة علاقة تلازمٍ، أي أنَّ من وحَّد الله في ربوبيَّته لزمه أن يوحِّده في ألوهيَّته.

* العلاقة بين توحيد الألوهيَّة وتوحيد الربوبيَّة علاقة تضمُّنٍ، أي أنَّ من وحَّد الله في ألوهيَّته تضمَّن ذلك الإقرار له بالربوبيَّة .

* العلاقة بين توحيد الأسماء والصفات والربوبيَّة والألوهيَّة علاقة شُمولٍ، أي أنَّ توحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الربوبيَّة والألوهيَّة .

قوله :(**فإذا دَخَلَ الشِّركُ في العِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كالحَدَثِ إذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ**).

مراد الشيخ رحمه الله من ذلك أن يُبيِّن أنَّ العبادة لا تنفع مع الشرك الأكبر، ولو صدر الشِّرك من أفضل النَّاس، لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥]، ففي الآية أن الشِّرك الأكبر يحبط العمل في شرعنا وفي سائر الشرائع التي قبلنا، وقوله تعالى في الآية ﴿عَمَلُكَ﴾: المراد بها كلُّ عملٍ، لأنَّ [**المفرد إذا أضيف عمَّ**]، وهذه قاعدة أصوليَّة، دلَّ عليها قوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[النحل:١٨]، وقوله ﷻ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾[الزمر:٣٦]، فـ﴿نِعۡمَتَ﴾ مضاف، وكذلك ﴿عَبۡدَهُۥ﴾، فلما أضيفا إلى (التاء) و(الهاء) عمَّا كلَّ النِّعم وكلَّ العباد، وفي هذه الآية خطابٌ لأفضل البشر فغيره من باب أولى، ومن الأدلة على أنَّ الشرك الأكبر يُفسِدُ العبادة قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ﴾[إبراهيم:١٨]، فكما أنَّ الرِّيح لا تُبقي من الرماد شيئًا بل تفرِّقه تفرُّقًا لا يرجى معه اجتماعه، فكذلك الشِّرك لا يُبقي من الأعمال شيئًا، فتذهب أعمالهم ولا ينتفعون بها، ولذا قال الله:﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾[النور:٣٩].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: (هذان مثلان، ضربهما الله لأعمال الكفَّار في بطلانها وذهابها سدًى وتحسُّر عامليها منها، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بربِّهم وكذَّبوا رسله ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ أي: بقاعٍ، لا شجرَ فيه ولا نبْتَ، ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾شديد العطشِ، الذي يتوَهَّم ما لا يتوَهَّم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حُسْبانٌ باطلٌ، فيقصده ليُزيلَ ظمأَهُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ فندم ندمًا شديدًا، وازداد ما به من الظَّمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السَّراب، تُرى ويظنُّها الجاهل الذي لا يدري الأمور أعمالًا نافعةً، فيغرُّه صورتُها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضًا أعمالًا نافعةً لهواه، وهو أيضًا محتاجٌ إليها، بل

مُضطرٌّ إليها، كاحتياج الظَّمآن للماء، حتى إذ قَدِم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعةً، ولم يجدها شيئًا).

ونظير هاتين الآيتين قوله تعالى :﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان:٢٣]، وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٦]، والدليل على أن الشرك يخلَّد صاحبُه في النَّار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة:٧٢].

* تُبنى على معرفة ضرر الشرك معرفة أخرى، وقد أشار إليها الشيخ بقوله : (**أَهَمَّ مَا عَلَيكَ**) :أي أهمَّ ما يجب عليك، لأن (**على**) من صِيَغِ الوجوب ، والدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[النساء:١٠٣]، و أيضًا :﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران:٩٧] .

قوله: (**مَعْرِفَةُ ذَلِكَ**) الإشارة هنا إلى التَّوحيد الذي هو دينُ المرسلين، ونقيضِه الشركُ الذي هو دينُ المشركين، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر (١/ ١٥٩): (فأهمُّ ما عليك معرفة التوحيد، قبل معرفة العبادات كلِّها، حتَّى الصلاة؛ ومعرفة الشِّرك، قبل معرفة الزِّنى وغيره من المحرَّمات، إذا علمت أنَّ الله لم يخلقك إلا لذلك؛ ومن الفرائض اللَّازمة: تعليمُك إيَّاه أهل بيتِك، ومن تحت يدك، من امرأةٍ، وبنتٍ، وخادمٍ).

قوله : (**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهي الشرك بالله**).

يعني بعد الاجتهاد في طلب العلم وفي معرفة الشِّرك ووسائله المفضِيَة إليه وبعد الدُّعاء، عسى الله أن (**يخلِّصك**)أي: ينجيك، (**من هذه الشبكة**) التي هي الأولى من شباك الشيطان، وهي الشرك بالله ،وشباك الشيطان التي يسعى جاهدًا في إيقاع المسلمين فيها هي:

الشبكة الأولى: وهي الشرك، وهذه من دخل فيها تمت خسارته وأحاطته الهلكة، وهي المقصود الأعظم للشيطان لأنه يضمن بذلك مصاحبة من دخلها أبدَ الآبادِ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

الشبكة الثانية : وهي شبكة البدع والمحدثات، وهذه أقلُّ خطرًا من سابقتها وأعظم ضررًا من لاحقتها .

الشبكة الثالثة :وهي شبكة المعاصي والكبائر، وكلا الشبكتين الثانية والثالثة : بوَّابةٌ للشبكة الأولى، قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، قال الإمام أحمد :(الفتنة الشرك)[1]، وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[الأنعام:١١٠].

(١) أخرجه ابن بطة العكبري في "الإبانة الكبرى" برقم (٩٧).

الشِّرْكُ

الشرك لغةً: مصدر (أشركَ، يشركُ، شركًا، أو إشراكًا)، ومادَّة (ش ر ك) تدلُّ على مقارنةٍ وخلاف انفراد[1].

والشرك شرعًا: هو مساواةُ غيرِ الله بالله فيما هو من خصائص الله، أو جعل ندٍّ لله في حقِّه، أو مساواةُ غيرِ الله بالله في حقِّه، أو جعل عِدْلٍ لله تعالى في حقِّه، وهذه التعاريف مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٨-٩٩]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، وقوله ﷺ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين : قال: سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»، وقوله تعالى :﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام:١] .

وينقسم الشرك إلى قسمين :

١ –**شركٌ أكبر**: وهو مساواةُ غيرِ الله بالله في حقِّه المتعلِّق بأصل التوحيد .

٢- **شركٌ أصغر**: وهو مساواةُ غيرِ الله بالله في حقِّه المتعلِّق بكمال التوحيد .

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

أنَّ الشرك الأكبر يخرج من الملَّة، وأما الشرك الأصغر لا يخرج منها، والشرك الأكبر يخلِّد في النار، وأما الشرك الأصغر لا يخلِّد في النار، والشرك الأكبر يحبط الأعمال جميعًا، وأما الشرك الأصغر لا يحبط الأعمال جميعًا إلا في الرياء؛ فإنَّه يحبط العمل الذي وقع فيه الرِّياء .

مسألة: اختلف أهل العلم فيمن لقِيَ الله على شيءٍ من الشرك الأصغر، هل يدخل تحت المشيئة كسائر الكبائر، أم أنَّ صاحبه لابدَّ أن يعذَّب به ثم يدخل الجنة؛ على قولين :

---

(١) معجم المقاييس لابن فارس مادة (شَرَكَ).

قال أصحاب القول الأول: لابد أنْ يعذَّب، واستدلُّوا بالعموم في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[النساء:٤٨] ، ووجه العموم أنَّ : أن وما دخلت عليه تؤَوَّل بمصدر، فـ﴿أَن يُشۡرَكَ ﴾، تؤَوَّل بـ(اشراكًا أو شركًا)، فيكون التقدير (إن الله لا يغفر شركًا به)، أو (إشراكًا به)، و(شركًا أو إشراكًا) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وعلى هذا قالوا : إن هذه الآية عامة في الشركَين الأصغر والأكبر فالله لا يغفرهما لمن لقيه بهما، فأما صاحب الأكبر فيخلد به في النار، وأما صاحب الأصغر فإنه يعذب به ثم يخرج إلى الجنة .

وقال أصحاب القول الثاني: ما قررتموه من أن هذه الآية عامة حق بلا ريب ولكنها من العام الذي أريد به الخصوص فهي عامة في الشرك ، ولكن يُراد بها خصوص الشرك الأكبر، ونظيرها قول الله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[البقرة:١٣]، فـ(الناس) عـامة ؛ لكن أُريد بها خصوص الصحابة رضوان الله عليهم ويؤيد قولنا هذا ويقويه قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[المائدة:٧٢]، وقوله :﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر:٦٥]، فقوله:﴿يُشۡرِكۡ ﴾، وقوله:﴿أَشۡرَكۡتَ ﴾، فعلان مضمنان لمصدرين نكرتين في سياق الشرط يفيدان العموم، فهذان عمومان ولا ريب أنهما أريد بهما خصوص الشرك الأكبر، وإلا لزمكم يا أصحاب القول الأول تخليد صاحب الشرك الأصغر في النار وإحباط عمله إعمالًا لهذا العموم، فماذا أنتم قائلون؟ فإن قالوا :التزمنا باللاَّزم، قلنا لهم : إذن فما الفرق عندكم بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر؟

فإن قالوا: لا فرق عندنا بينهم، قلنا لهم قد فرقت الشريعة وإلا فلماذا جعلت أحدهما أصغر، بدليل: حديث النبي ﷺ: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»[1] رواه أحمد من حديث محمود بن لبيدرضي الله عنه، وبهذا ثبت وهاء مذهبهم، وإن قالوا هذان العمومان أريد بهما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

خصوص الشرك الأكبر، قال أصحاب القول الثاني: قولكم في هذين العمومين هو قولنا في العموم الذي أوردتموه، وثبت بهذا أنّ الراجح هو القول بأنَّ الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة كسائر الذنوب والمعاصي .

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الحصين رحمه الله في الدرر السنية(٢/ ١٨٥): (والشرك الأصغر: ذنب تحت المشيئة، كسائر الذنوب، بل هو أكبرها، لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾، وحديث: « أي الذنب أعظم »، ولكن لا يكفر مرتكبها ولا يخرج عن الملة الإسلامية، إذا لم يستحل فعلها).

قوله : (**وذَلِكَ**) الإشارة هنا إلى التَّخليص من شبكة الشرك.

قوله :(**بمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ**) أي: أن هذه القواعد أساس في الخلاص من الشرك .

قوله : (**ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ**)، مراده أنَّ هذه القواعد الأربع مستخلصة من كتاب الله عز وجل وأنه لم يخترعها ولم يأت بها من عند نفسه، وإنما هي مقتبسة من كتاب الله عز وجل، وهذا ما تتميَّز به مؤلفات الشيخ رحمه الله فإنّهُ لا يذكر مسألةً ولا يقرر تقريرًا إلّا وأعقبه بقوله : (**والدليل قوله تعالى كذا وكذا**)، فقد قرر رحمه الله الحقَّ في كتبه تقريرًا واضحًا مقرونا بما يؤيِّدُه ويشهد بصحَّته من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فجزاه الله عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء، فقد جدد رحمه الله ملة إبراهيم عليه السلام، وأحيا العلم وأحيا الاستدلال بالكتاب والسنة بعد اندراس كل ذلك ورحم الله من قال:

أئمة حق والنصـــــوص طريقهم	**وأحمد خريت الطريق وهاديـا**
على مذهب الحبر الإمام ابن حنبل	**عليهم من المولى سلام يوافيـــا**
عقـــــــــائدهم سنية أجمع الملا	**عليها خصوصا تابعا وصحابيا**
وأسلمها عقدا وأعلمهـــا هدى	**وأحكمها فاشدد عليها الأياديا**
صرائح قرآن نصـــوص صريحة	**ومن ردها دارت عليه الدواهيا**

القاعدة الأولى

المتن: قال المصنف رحمه الله: (القاعدة الأولى: أن تعلم أنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدَّليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]).

الشرح: هذه القاعدة هي أُولَى القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله، والتي يتبيَّن بها الدِّين الذي كان عليه المشركون والدِّين الذي جاء به المرسلون، وفيها دفعٌ لشبهةٍ عظيمةٍ من أعظم شبهات القبوريِّين .

أما الشبهة فهي: أنَّ الكثير من القبوريِّين والعابدين لغير الله يقولون لأهل التَّوحيد كيف تحكمون علينا بالشرك ونحن نُقِرُّ بأنَّ الله هو الخالق الرازق المدبر...، وغيرها من أفراد الربوبيَّة، فحرَّفوا بذلك معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ إلى (لا خالق ولا رازق ولا مدبِّر إلَّا الله)، وظنُّوا أنَّ التوحيد الذي أراده الله من عباده هو توحيد الربوبيَّة، وأنَّ من جاء به مسلمٌ معصوم المال والدَّم، فأَوردَ الشيخ رحمه الله هذه القاعدة ليُبيِّن بطلان ما ذهبوا إليه، وليُقرِّر الحقَّ في هذه المسألة.

ووجه الرد: أن يقال لهؤلاء إنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله كانوا يقرُّون بأنَّ الله هو الخالق الرازق المدبر، مع كونهم يعبدون الله بأنواعٍ من العبادات.

فإن قلت فما الدَّليل على أنَّ المشركين الأوَّلين الذين قاتلهم رسول الله كانوا يقرُّون بالربوبيَّة؟ قلنا الأدلَّة على هذا كثيرةٌ جدًّا، منها ما ذكره الشيخ هنا وهو قول الله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]، فقوله:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذه في إقرارهم بأنَّ الله هو الرازق لهم وحده، وأنَّ رزقه لهم من السَّماء المطر، ورزقه لهم من الأرض

النَّبات كلُّه من حبٍّ وكلإٍ وثمرٍ، وقوله: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ هذه في إقرارهم بالله بأنَّه المالك لأسماعهم وأبصارهم والمتصرِّف فيها وحده، وقوله: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ هذه في إقرارهم لله بالخلق والإحياء والإماتة، وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ هذه في إقرارهم بأنَّ الله وحده هو الذي يدبِّر جميع أمورهم، لأنَّ ﴿ٱلۡأَمۡرَ﴾ مفرد معرَّف يفيد العموم، فيدخل فيه أمر السماء وأمر الأرض وما فيهنَّ، وأمر جميع الخلق، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ هذا جوابهم على جميع الأسئلة، فإنَّهم لم يقولوا اللَّات، ولا العزَّى، ولا مناة، وإنَّما أسندوا وأضافوا جميع ذلك إلى الله وحده، ولما كانوا مقرِّين لله بذلك احتجَّ الله عليهم بما أقرُّوا به من الربوبيَّة على ما جحدوه وأنكروه من الألوهيَّة، فقال لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ومعنى ذلك أفلا تتقون الله فتوحِّدونه في ألوهيَّته كما وحَّدتموه في ربوبيَّته، أو أفلا تتقون الشِّرك بالله في ألوهيَّته وأنتم تعلمون أن لا شريك له في ربوبيَّته.

قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: (﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، يقول جلَّ ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا: الذي يفعل ذلك كلَّه الله).

وقال ابن كثير رحمه الله: (﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي وهم يعلمون ذلك ويعترفون به).

وقال الشنقيطي رحمه الله: (﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، صرَّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة، بأنَّ الكفَّار يقرُّون بأنَّه جلَّ وعلا، هو ربُّهم الرزَّاق المدبِّر للأمور، المتصرِّف في ملكه بما يشاء، وهو صريح في اعترافهم بربوبيَّته، ومع هذا أشركوا به جلَّ وعلا، والآيات الدَّالة على أنَّ المشركين مقرُّون بربوبيَّته جلَّ وعلا -ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه غيره في حقوقه جلَّ وعلا- كثيرة، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الزخرف:٩]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾[المؤمنون:٨٤-٨٩]، إلى غير ذلك من

الآيات، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]، والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبيَّته جلَّ وعلا لا يكفي في الدُّخول في دين الإسلام، إلا بتحقيق معنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾نفيًا وإثباتًا).

وقال السعدي رحمه الله: (﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ لأنَّهم يعترفون بجميع ذلك، وأنَّ الله لا شريك له في شيء من المذكورات).

ومن الآيات التي ذكر الله فيها إقرار المشركين له سبحانه بالربوبيَّة قوله سبحانه:﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[العنكبوت:٦١]، وقوله:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت:٦٣]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزمر:٣٨]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[لقمان:٢٥]، وقوله:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩]، فهذه الآيات كلها صريحة في الدِّلالة على إقرار المشركين بربوبيَّته سبحانه وتعالى، وقد كان المشركون مع هذا الإقرار يعبدون الله تعالى ويتقرَّبون إليه بأنواعٍ من العبادة، فمن ذلك أنَّهم كانوا يصلُّون، والدَّليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[الأنفال:٣٥]، وكانوا يصومون والدَّليل حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم(١١٢٥)، قالت: (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهليَّة)، وكانوا يحجُّون ويطوفون بالبيت، حتَّى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التوبة:٢٨]، و في البخاري(٣٦٩) ومسلم(١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجَّة التي أمَّره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل حجَّة الوداع يوم النَّحر في رهطٍ يؤذِّن في النَّاس ألا لا يحجُّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ، وفي مسلم(١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : كان المشركون يقولون: لبَّيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ويلكم، قد قد» فيقولون: إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت، وكانوا يتعبَّدون الله بالنذر، والاعتكاف، والذبح، والدَّليل ما رواه البخاري(٢٠٣٢) ومسلم(١٦٥٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمر رضي الله عنه سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: كنت نذرت في الجاهليَّة أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام، قال: «فأوف بنذرك»، وجاء عند أحمد(٦٧٠٤) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن العاصِ بنَ وائلٍ نذر في الجاهليَّة أن ينحر مائة بدنةٍ، وأن هشامَ بنَ العاصِي نحر حصَّته خمسين بدنةً، وأنَّ عمر سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال: «أمَّا أبوك، فلو كان أقرَّ بالتوحيد، فصُمتَ، وتصدَّقتَ عنه، نفعه ذلك»، وكانوا يطعمون الطَّعام، ويسقون الحجيج، ويعمرون بيت الله، والدليل قول الله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة:١٩]، وفي البخاري(١٤٣٦) ومسلم(١٢٣) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنَّه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرأيت أمورًا كنت أتحنَّث بها في الجاهليَّة، من صلةٍ، وعَتاقةٍ، وصدقةٍ، هل لي فيها من أجرٍ؟ قال حكيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما سلف من خيرٍ»، وفي صحيح مسلم(٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهليَّة يَصِلُ الرَّحم، ويُطعِم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، كما كانوا يدعون الله ويخلصون له في الشَّدائد قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾[العنكبوت:٦٥]، وغير ذلك من العبادات والقربات، وذلك كلُّه لم يدخلهم في الإسلام، ولم يعصم أموالهم ودمائهم، وبعد استعراض حال المشركين يبقى لأصحاب الشُّبهة أمران لا ثالث لهما:

الأول :أن يحكموا على أبي جهلٍ، وأُبيِّ بن خلف، وأبي لهبٍ، وأضرابهم بالإسلام، لأنهم كانوا يقرُّون لله بالرُّبوبيَّة، ويكونوا بذلك مكذِّبين للقرآن الكريم .

الثاني :أن يرجعوا عن باطلهم، ويعترفوا أنَّ الإقرار بالرُّبوبيَّة لله وحده لا يكفى للدخول في الإسلام .

من فوائد هذه القاعدة :

الأولى: أن التوحيد الذي أراده الله من العباد هو توحيد الألوهيَّة، وهو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وشاهده ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، ولم يقل (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أنِّي أنا الخالق الرَّازق المدبِّر المحيِي المميت المصرِّف ...)، وإنما قال ﴿أَنِ اعْبُدُوا ﴾ .

الثانية : أن توحيد الربوبيَّة لا يكفي في الدُّخول في الإسلام، ولا يعصم المال ولا يعصم الدَّم كذلك .

الثالثة : معرفة حقيقة دين المشركين الذي هو الإقرار لله بالربوبية مع الإشراك به في الألوهية .

الرابعة : معرفة حقيقة دين المرسلين الذي هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه .

الخامسة : خطأ من فسَّر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ بـ(لا خالق لا رازق إلَّا الله)؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى قال عن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات:٣٥]، مع أنَّهم كانوا يقرُّون بالربوبيَّة فدلَّ ذلك على أنَّ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ لها معنى آخر قد استكبروا عنه وهو(لا معبود بحقٍّ إلَّا الله).

خلاصة القاعدة: أن دين المشركين الإقرار لله بالربوبيَّة مع عبادة الله وعبادة غيره معه، فمن كان على هذا في أيِّ زمانٍ، وفي أيِّ مكانٍ فهو على دين المشركين شاء أم أبى، وأنَّ دين المرسلين الإقرار لله بالربوبيَّة، وإفراده بها مع عبادته وحده لا شريك له، فمن كان على هذا فهو على دين المرسلين، وقد حصل بهذه القاعدة –ولله الحمد– كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

القاعدة الثانية

المتن، قال المصنِّف رحمه الله: (القَاعِدَةُ الثَّانِيةُ : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوجَّهنَا إِليهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُربَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[الزمر:٣]، ودَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَولُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨]، والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، فالشَّفَاعَةُ المنفِيَّةُ: مَا كَانت تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ الله فيمَا لا يَقْدِرُ عَليهِ إِلَّا الله، والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]، وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هِي: التي تُطْلَبُ مِن الله، والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بالشَّفَاعَةِ، والمشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَولَهُ وعَمَلَهُ بعد الإذنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]) .

الشرح:

وهذه القاعدة إيرادها بعد القاعدة الأولى مناسبٌ جدًّا، ووجه ذلك أنَّ الطَّالب إذا درس القاعدة الأولى وتقرَّر عنده أنَّ المشركين كانوا يقرُّون لله عزوجل بربوبيته، قام في ذهنه سؤال هو: ما الذي جعل المشركين يعبدون غير الله؟ وما السَّبب الحامل لهم على ذلك؟ وبيان هذا يدفع شبهة احتجّ بها القبوريُّون والخرافيُّون في قديم الدهر وحديثه .

وشبهتهم هي: أنَّهم يبرِّرون عبادتَهم للأنبياء والأولياء والصالحين بأنَّهم يريدون القربة من الله، ولكنَّهم مذنبون ومقصِّرون، والصَّالحون قريبون من الله، ولهم جاهٌ ومنزلةٌ عند الله !! وأنَّهم يريدون شفاعة الصَّالحين لهم عند الله .

وردُ هذه الشبهة: أن يقال لهم : إنَّ صنيعكم هذا هو عين صنيع المشركين الأوَّلين، وهو الذي أوجب كُفرهم .

قوله: (**فدليل القربة**)، يعني أنَّ الدَّليل على أن الأوَّلين توجَّهوا لغير الله بالعبادة يريدون بذلك القربة، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العمُوم، وهو عامٌّ في المتَّخِذين، و﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: عامَّةٌ في كلِّ من سوى الله، وهي عامَّةٌ في المتَّخَذين.

* وهذه الآية فيها دليل على أنَّ الأوَّلين أعرف بمعنى العبادة من المتأخِّرين؛ لأنَّهم سَمُّوا ما يتوجَّهون به إلى معبوداتهم عبادةً، والمتأخِّرون يسمُّونه توسُّلًا أو محبةً للصَّالحين .

وفي هذه الآية عدة فوائد :

الأولى : أنَّ الأوَّلين يوحِّدون الله في ربوبيَّتِهِ؛ لأنَّهم بيَّنوا السَّبب الحامل لهم على عبادة غير الله بأسلوب الحصر، وهو:[**الاستثناء المسبوق بالنَّفي**]، وقولهم:﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، أي لا لأنَّنا نعتقد أنَّهم ينفعون ويضرون، أو يرزقون أو يخلقون، بخلاف المتأخِّرين فإنَّهم يشركون بالله في ربوبيَّته.

الثانية :فيها إبطال القاعدة الكافرة وهي: [**أنَّ الغايةَ تبررُ الوسيلة**] ؛ ولو كانت القاعدة صحيحةً لصحَّ عملهم، لأنَّ نيَّتهم كانت حسنةً، ولكنَّهم اتَّخذوا وسيلةً هي أعظم الوسائل في إبعادهم عن نيل مقصودهم وهي الشِّرك .

الثالثة: أن النِّية الحسنة لا تبرِّر العمل السيِّئ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، فـ﴿ مَا ﴾: موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم، و﴿بَيۡنَهُمۡ ﴾:أي بين المتَّخَذين والمتَّخِذين، وقيل: بين المشركين والموحِّدين .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾: فالله ﷻ وصف أصحاب هذا الاعتقاد بوصفين :

الأول: أنّهم كَذَبَة، ووجه كَذِبهم أنَّهم اعتقدوا أنَّ الله لا يوصَلُ إليه إلَّا بواسطةٍ تُعبد معه، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨ ﴾[الأحقاف:٢٨].

الثاني : أنَّهم كَفَرَة، ووجه كفرهم أنَّهم صرفوا العبادة لغير الله .

قوله : (**ودليل الشفاعة**) أي: والدَّليل على أنَّ الأوَّلين توجَّهوا لغير الله بالعبادة يريدون الشفاعة، قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾[يونس:١٨]، فهؤلاء صرفوا العبادة لغير الله، فإذا قيل لهم لماذا عبدتم غيره؟ فجوابهم ما ذكره الله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، فقد بيَّن ﷻ أنَّ صرف العبادة لغيره من أجل الشفاعة شرك، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، وفي الآيتين من الفوائد:

١-إقرار المشركين بوجوده سبحانه، لقوله في الآية الأولى: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾، وقوله في الثانية: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

٢-بطلان عبادة كلِّ من سوى الله، لأنَّ كلَّ من سوى الله لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، والمستحقُّ للعبادة هو المالك لجلب المنافع ودفع المضارِّ، وهو الله لا غيره.

الشفاعة لغةً :مأخوذة من الشَّفع وهو الزَّوج، لأنَّ صاحب الحاجة واحدٌ، فانضمَّ إليه غيره فصارا شفعًا، فسُمِّيت شفاعةً (أي زوجًا) .

الشفاعة في الشرع : التوسُّط للغير في جلب منفعةٍ أو دفع مضرَّةٍ .

والشفاعة عند الخلق قسمان :

١- **شفاعة حسنة** ٢- **شفاعة سيئة .**

قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[النساء:٨٥]، ومراد الشيخ هنا الشفاعة عند الله.

قوله: (**والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ ،وشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ**).

الشفاعة المنفية : هي التي كان يعتقدها المشركون بأنَّ غير الله يشفع استقلالًا، من دون مراعاةٍ لشروط الشَّفاعة وقيودها، أو هي الشَّفاعة دون إذن الله ورضاه، ودليلها قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، فجاءوا باسم الإشارة للتَّعيين، فعيَّنوهم ونصبوهم شفعاء دون اعتبارٍ لرضا اللهﷻ وإذنه، والدَّليل على الشَّفاعة المنفية قوله تعالى: ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ فـ﴿ شَفَٰعَةٌ ﴾ نكرة في سياق النَّفي تفيد العموم، فلو لم يُنزِّل الله آية سوى هذه الآية لكانت جميع الشفاعات منفيَّة، ولكن جاءت أدلة أخرى استثنت الشفاعة بعد الإذن والرِّضى من عموم هذا النَّفي .

الشفاعة المثبتة : هي التي يُراعى فيها شروط الشفاعة وقيودها، أو هي الشفاعة المتضمِّنة لإذن الله ورضاه .

قوله تعالى:﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

و﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾: هذا مبتدأ محصور في خبره الذي هو﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، والمعنى: لا أحد أظلم ممن لَقِيَ الله كافرًا، وأتى بضمير الفصل﴿ هُم ﴾ الدَّال على التَّوكيد، والمراد بقوله ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: أنَّ الله جلَّ وعلا لم يمنعهم الشفاعة ظلمًا منه لهم، وإنَّما هم الذين ظلموا أنفسهم لأنَّهم طلبوا الشفاعة بالشِّرك، فقد قال النبيُّ ﷺ : «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمَّتي لا يشرك بالله شيئًا»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الله تعالى عن الكفَّار:﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٨]، وقال:﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨].

شروط الشفاعة:

الأول: الإذن، والدَّليل قوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، هذا استفهام مَشُوبٌ بالنَّفي والتَّحدِّي، والمعني :ائتوني بأحدٍ يشفع بلا إذنٍ، فإنَّه لا أحدَ يشفع إلا بعد الإذن .

الثاني : الرِّضى عن الشَّافع، والدَّليل قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم:٢٦].

الثالث :الرِّضى عن المشفوع، والدَّليل قوله تعالى :﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨].

* والرِّضا الذي يُشترَط هو: الرِّضى عن توحيده ومعتقده، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله من أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، خالصًا من قلبه، أو نفسه»، والدَّليل على أن الشَّفاعة مِلْكٌ لله، قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٤]، وهذه الآية فيها فائدتان :

الأولى : أن الشفاعة مِلْكٌ لله، ومحصورةٌ ومقصورةٌ عليه، ووجه ذلك أن اللام في قوله﴿لِلَّهِ﴾ للملك، فالله هو المالك للشفاعة دون من سواه، وقدَّم الخبر الذي هو الجار والمجرور﴿لِلَّهِ﴾، وأخَّر المبتدأ الذي هو﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾، ومعلوم أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر.

الثانية :أنَّها أقسام .

فإذا ثبت أنَّ الشَّفاعة مِلْكٌ لله، فإنَّ طلَبها من غير الله شركٌ؛ لأنَّه طلبٌ لها ممَّن لا يملكها .

سؤال :إذا كان الله يريدُ أن يُدخل زيدًا الجنة، أو أن يرفعَ درجته، فَلِمَ الشَّفاعة ؟

الجواب :

١ – أنْ يَظهر جاهُ وفضلُ ومنزلةُ الشَّافع عند الله .

٢– ظهور فضل الشَّافع على المشفوع فيه .

٣– أنها إكرامٌ من الله ورحمةٌ وفضلٌ .

فائدة : للنَّبيِّ ﷺ نوعان من الشَّفاعة :

الأولى خاصة : وتشمل :

١ – **الشفاعة لأهل الموقف** ، والدَّليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إن النَّاس يصيرون يوم القيامة جثًا، كلُّ أمَّةٍ تتبع نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشَّفاعة إلى النَّبيِّ ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » رواه البخاري.

٢– **الشفاعة لأهل الجنة لدخولها** ، والدَّليل حديثُ أنس بن مالِك أنَّ رسول ﷺ قال : «أنا أوَّل النَّاس يشفع في الجنَّة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا» رواه مسلم.

٣– **الشفاعة في عمه أبي طالب** ، والدَّليل في الصَّحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال عن عمه: «لعلَّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعَل في ضحضاحٍ من نار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه».

الثانية الشفاعة عامة[١]: وتكون له ولغيره من المؤمنين، وتشمل :

١- **الشفاعة لرفع الدرجات** . ٢- **الشفاعة لأهل الكبائر** .

والدليل قوله ﷺ : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي »[٢].

٣- **الشفاعة في خروج أقوام من الموحدين من النار** ، والدليل قوله ﷺ : «ثم تحلُّ الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة»[٣].

خلاصة القاعدة: أنَّ من دين المشركين التوجُّه لغير الله بعباداتهم يرجون من ذلك الغير تقريبهم من الله والشفاعة لهم عنده، ومن كان على هذا من المتأخِّرين فهو على دين المشركين، وفيها أنَّ دين المرسلين عبادة الله وحده، والتَّوسل إليه سبحانه وطلب القرب منه بتوحيدهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة:٣٥]، والوسيلة المأمور بابتغائها هنا هي: الإيمان والعمل الصَّالح، وقد بيَّن النبي ﷺ أنَّ القرب من الله ﷻ يحصل بأداء الفرائض والنَّوافل كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه»، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾، فمن عَبَدَ الله وحده وتقرَّب إليه بالأعمال الصَّالحة كان على دين المرسلين، وقد حصل بهذه القاعدة -ولله الحمد- كما هو ظاهرٌ؛ التَّفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

---

(١) راجع معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/ ٨٨٩ – ٩٠٦) ، ط. دار ابن القيم.

(٢) أخرجه أبو داود وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وجاء عن جابر ، وابن عمر وغيرهما وصححه الألباني رحمه الله .

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث جابر رضي الله عنه .

القاعدة الثالثة

المتن، قال المصنِّف رحمه الله: (القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ : أنَّ النبي ﷺ ظهر على أناسٍ متفرِّقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[الأنفال:٣٩]، ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[فصلت:٣٧]، ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[آل عمران:٨٠]، ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[المائدة:١١٦]، ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[الإسراء:٥٧]، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[النجم:١٩-٢٠]، وحديث أبي واقد اللَّيثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواطٍ، فمررنا بسدرةٍ، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ، كما لهم ذات أنواطٍ»[1]).

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمه الله .

الشرح:

هذه القاعدة فيها دفع **لشبهة** من أعظم شبهات القبوريِّين والخرافيِّين في قديم الدهر وحديثه، **وهي** : أنهم يحصرون الشِّرك في عبادة الأصنام !!! .

ورد هذه الشبهة: يكون باستعراضِ حالِ المشركين حين بعثة النبي ﷺ، فقد تنوَّعت وتعدَّدت معبوداتهم .

واستدلَّ الشيخ على إبطال قاعدة الخرافيِّين: {**أنَّ الشرك عبادة الأصنام**} بقتال النبيِّ ﷺ لكافَّة المشركين وعدم تفريقه بينهم، وهذه حجَّةٌ واضحةٌ ظاهرةٌ، وهي:أنَّ النبيَّ ﷺ اعتبر بصرف العبادة لغير الله دون نظرٍ لذلك الغير، وإلَّا لتوجَّه لقتال من عبدوا الأصنام؛ ولكن لما قاتل الجميع عُلم أنه سوَّى بينهم .

قوله : (**والدَّلِيل قَوْله تَعَالَى**) يعني : والدليل على أنَّ النبيَّ ﷺ قاتل جميع المشركين، ولم يفرِّق بينهم، قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾، وروى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ يعني :حتى لا يكون شركٌ.

قوله : (**وَدَلِيلُ الشَمس والقمَر**) أي : والدَّليل على أنَّ بعض من بُعث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الشمس والقمر.

قوله تعالى :﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ﴾، الشَّاهد في الآية قوله : ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ ﴾، فنهى الله تعالى عن السُّجود للشمس والقمر فدلَّ ذلك على أنَّ بعض من بُعث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الشمس والقمر، وإلَّا كان النَّهي عبثًا، وكيف ينهى الله عن أمرٍ لاوجود له، ولا يكون، ودل على ذلك قوله ﷺ : «وحينئذ يسجد لها الكفَّار»، رواه مسلم من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

هذه الآية اشتملت على عدة فوائد :

الأولى :بطلان ألوهيَّة الشمس والقمر لقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، فدل على أنَّهنَّ من جملة المخلوقات والمخلوق لا يستحقُّ أن يعبد .

الثانية : في قوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، حصرُ العبادة في الله، ووجه الحصر : أنَّه قدَّم المفعول﴿إِيَّاهُ﴾ على الفعل والفاعل﴿تَعْبُدُونَ﴾.

الثالثة :أنَّ من توجَّه بالسجود للشمس والقمر فقد عبدهما، ومن توجَّه بالسجود لله فقد عبده .

فنقول لأصحاب الشبهة : ماذا تقولون فيمن عبد الشمس والقمر ؟

فلهم جوابان لا ثالث لهما:

الأول: أن يحكموا لهم بالإسلام ويكونون بذلك قد كذَّبوا القرآن .

الثاني : أن يحكموا عليهم بالكفر ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن الشمس والقمر ليس بأصنام .

قوله : (**ودليل الملائكة**) أي: والدليل على أن بعض من بُعِث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الملائكة .

قوله تعالى :﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، أربابًا : أي معبودين، فسمَّى الله تعالى : من اتَّخذ الملائكة والنبيِّين أربابًا؛ كافرًا، فمن اتَّخذ غيرهم كان أشدَّ كفرًا، لماذا ؟ لأنَّ الملائكة والنبيِّين أقرب المخلوقات إلى الله، فإذا بطلت عبادتهم فبطلان عبادة غيرهم من باب أولى.

فنقول لأصحاب الشبهة الذين حصروا الشِّرك في عبادة الأصنام: ماذا تقولون فيمن عبد الملائكة والنبيِّين ؟

لهم جوابان لا ثالث لهما :

الأول: أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذِّبين للقرآن، لأنَّ الله كفَّرهم وهم يحكمون بإسلامهم .

الثاني : أن يحكموا عليهم بالكفر ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن الملائكة والنبيِّين ليسوا بأصنام .

قوله : (**ودليل الأنبياء**) أي : والدليل على أن بعض من بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الأنبياء .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾؟ الاستفهام لطلب التَّعيين، والمعنى: أأنت الذي قلت لهم ذلك؟ أم أنَّهم فعلوا ذلك من تلقاءِ أنفسهم .

وهذه الآية فيها إبطال ألوهية عيسى عليه السلام و أمّه من وجوه :

الأول: قوله تعالى : ﴿﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، فوصفه وناداه بالبُنوَّة لمريم، والإله لم يولد، والإله لا يلد .

الثاني: قوله تعالى:﴿ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ ﴾، ولم يقل: واتَّخِذوني ومريم، وذلك ليثبت أنَّ له أُمًّا، وأنَّه مولودٌ فلا يستحقُّ أن يكون إلهًا .

الثالث: قوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾، دليل على عجزه وضعفه وقصوره، والذي يستحقُّ أن يُعبَد هو الذي لا يخفى عليه شيءٌ، لذا قال عيسى عليه السلام﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.

الرابع: قوله تعالى:﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾، فهو مربوبٌ، والمربوب لا يُعبد وإنَّما الذي يستحقُّ أن يُعبَد هو الربُّ .

الخامس: قوله تعالى:﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾، وفي هذا دليل على عجزه، فالذي يستحق العبادة هو العالم بكل شيء، والذي لا يخفى عليه شيء.

فإن قيل فما الفائدة من هذا السؤال ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لعيسى عليه السلام؟

الجواب : الفائدة زيادة إقامة الحجَّة على النَّصارى .

فنفى عيسى عليه السلام هذا القول بأبلغ أنواع النفي وذلك من وجوه:

الأول: قوله تعالى : ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: أنزِّهُك عن الشُّركاء .

الثاني: قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، ولم يقل : لم أقله ؛ لأنَّ قوله : لم أقله، نفيٌ لصدور هذا القول منهُ فيما مضى، أما قوله : ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾، نفيٌ له فيما مضى وفي الحاضر وفي المستقبل .

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾، فعلمُ الله بأنه قد قال منتفٍ ولذا انتفى القول .

الرابع: قوله تعالى : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ﴾، فنفى جميع الأقوال المغايِرَة- المخالفة- لما أمره به، ويدخل في جملة ذلك هذه المقالة، وحَصَرَ دعوته فيما أمر الله به، ولم يتجاوز ذلك، ووجه الحصر [الاستثناء المسبوق بالنفي] .

سؤال : وهل أمر الله نبيًّا من الأنبياء أن يقول للنَّاس اعبدوني ؟

الجواب : لا، والدليل قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٧٩]، وقوله تعالى : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف:٤٥].

* واختيار الشيخ لنبي الله عيسى عليه السلام من سائر الأنبياء عليهم السلام إلزام لأهل الباطل والشرك والكفر، فأراد الشيخ أن يقول لهم هؤلاء النصارى عبدوا عيسى، فكان ذلك من أسباب كفرهم، فهل عيسى عليه السلام صنم؟ أم أن عبادتهم له لم تضرُّهم؟ وعلى هذا فنقول لمن حصر الشرك في عبادة الأصنام ماذا تقول فيمن عبد عيسى عليه السلام؟ .

لهم جوابان لا ثالث لهما:

الأول: أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذِّبين للقرآن.

الثاني: أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن عيسى عليه السلام ليس بصنم.

قوله: (**ودليل الصالحين**) أي : والدليل على أن بعض من بُعث فيهم النبيُّ ﷺ كانوا يعبدون الصالحين .

قوله تعالى :﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾، فقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ الإشارة هنا للمعبودين، وقد جاءت قراءة أخرى مفسرة وهي : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾، وقوله تعالى :﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ هذا هو الدَّليل على صلاحهم؛ لأنَّ من خاف عذاب الله ورجا رحمته فإنَّ رجاءه يدفعه لعمل الصَّالحات، وخوفه يردعه عن المحرَّمات، ومن كان كذلك فلا شكَّ في صلاحه .

سبب نزول هذه الآية:

قال البخاري رحمه الله : حدثنا بشر بن خالد، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه، في هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ قال: «كان ناس من الجنِّ يُعبَدون فأسلموا»، وفي رواية عند مسلم: قال: «كان نفرٌ من الجنِّ أسلموا، وكانوا يُعبَدون، فبقي الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم، وقد أسلم النَّفر من الجنِّ»، وفي رواية عند مسلم : عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ قال: نزلت في نفرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجنِّ، فأسلم الجنيُّون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت.

* ويظهر من سبب النُّزول أنَّ الحيَّ من العرب لما عبدوا الجنَّ في حال كفرهم كانوا كفَّارًا، ولما عبدوهم في حال إيمانهم كانوا كفَّارًا أيضًا، فدلَّ ذلك على أنَّ العبرة بصرف العبادة لغير الله دون نظر لذلك الغير .

فيقال لأصحاب الشبهة الذين حصروا الشِّرك في عبادة الأصنام، ماذا تقولون فيمن عَبَدَ الجنَّ؟

لهم جوابان لا ثالث لهما :

الأول: أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذِّبين للقرآن.

الثاني: أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأنَّ الجنَّ ليسوا بأصنام.

قوله: (**ودليل الأشجار والأحجار**) أي: والدَّليل على أن بعض المشركين كانوا يعبدون الأشجار والأحجار .

قوله تعالى﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾.

اللَّات :صخرةٌ والعزَّى : شجرةٌ ومناة : صخرةٌ

الشاهد من الآية : أنَّ الله ﷻ ذكر الأشجار والأحجار وساقها مساقًا واحدًا؛ فعُلِم من هذا أنَّ من توجَّه بالعبادة للحجر كان كمن توجَّه بها للشَّجر، وكمن توجَّه بها للبشر، أو للشَّمس أو للقمر، فالجامع بين هؤلاء التوجُّه بالعبادة لغير الله وصرفها لغير مستحقِّها.

قوله :(**وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء**) الحديث.

نص الحديث : أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم(٢١٨٠)، ولفظه:

عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرةٍ للمشركين يقال لها: ذات أنواطٍ يعلِّقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله!!، هذا كما قال قوم موسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ والذي نفسي بيده لتركبنَّ سنَّة من كان قبلكم».

قوله: (عن أبي واقد الليثي)، اسمه الْحَارِثُ بْن عَوْف، قوله:(خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر)، هذا اعتذار منهم لـمَّا صدر منهم هذا الفعل، وقوله:(وللمشركين سدرة يعكفون عندها)، والعكوف هو ملازمة الشَّيء على وجه التعبُّد، وقوله: (وينوطون)، أي يعلِّقون، وقوله:(يقال لها ذات أنواط)، أي ذات التَّعاليق.

فهنا صورتان:

الأولى : موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف:١٣٨].

الثانية: النبيُّ ﷺ مع مُسلِمَةِ الفتح.

ففي الصورة الأولى قال تعالى: ﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾، وفي الصورة الثانية (وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم)، فقوله: ﴿أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾، صريح في أنَّهم يملكون هذه الأصنام، وفي الثَّانية (وللمشركين سدرة) صريح أيضًا في أنَّهم يملكون هذه الشجرة، وفي هذا دليل على سخافة عقول المشركين لأنَّهم عبدوا ما يملكون، والمملوك لا يُعبد، والذي يستحقُّ العبادة هو الله المالك لكلِّ شيءٍ، قال سبحانه: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[يس:٨٣]، قال تعالى:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[الملك:١]، وقد ردَّ الله تعالى عليهم في عبادتهم لما يملكون بقوله:﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[الروم:٢٨-٣٠].

وفي الصورة الأولى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وفي الصورة الثانية قالوا يا رسول الله: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، فبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ مُسلِمَة الفتح تابعوا سَنَن بني إسرائيل في هذا، وسوَّى بين طلبهم للشجرة وطلب بني إسرائيل للأصنام، فعُلِم من هذا أن العبرة بالتوجُّه والعبادة، فمن توجَّه بعبادته للشَّجر فقد عبد الشَّجر، ومن توجَّه بها للحجر فقد عبد الحجر وهما سواء، لأنَّ كلاهما صرفٌ للعبادة لغير مستحقِّها، ووضعها في غير محلِّها، وفيه أنَّ العبرة بالمعاني والحقائق لا بالأسماء، فيقال لمن حصروا الشِّرك في عبادة الأصنام: ما قولكم فيمن توجه بالعبادة للشَّجر؟.

لهم جوابان لا ثالث لهما:

الأول: أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذِّبين للقرآن.

الثاني: أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأنَّ الشَّجر ليس بأصنام.

خلاصة القاعدة: أن دين المشركين تنوُّع وتعدد من يتوجَّهون إليه بعباداتهم، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات:٣٦]، وأنَّ دين المرسلين توحيد المعبود، وأنَّهم يتوجهون بعباداتهم لواحدٍ، وهو الله وحده لا شريك له ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام:١٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء:١٠٨]، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، فتلخص بهذا أن من عبد الله وحده ولم يعبد معه غيره فهو على دين المرسلين، ومن عبد الله وعبد معه غيره كان على دين المشركين شاء أم أبى، وقد حصل بهذه القاعدة -ولله الحمد- كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين.

القاعدة الرابعة

المتن، قال المصنِّف رحمه الله: **(القاعدة الرابعة: أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من**

الأوَّلين، لأنَّ الأوَّلين يشركون في الرَّخاء ويخلصون في الشِّدة، ومشركو زماننا شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدة، والدَّليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥]).

الشرح:

وهذه القاعدة مأخوذة من عموم ما سبق، فإنَّ الذي يفهم ما مرَّ تتَّضح له هذه القاعدة غاية الوضوح، وهي: (أَنَّ مُشركي زماننا أغلظُ شِرْكًا من الأَوَّلينَ)، ومن فِقهِ الشيخ رحمه الله أنَّه أخَّر هذه القاعدة، إذ لو قدَّمها لاستعظمها النَّاس.

ثم ذكر أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين و ذلك من وجوه:

الأول: أنَّ المشركين الأوَّلين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشِّدة، وأما مشركو زماننا فشركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدة؛ بل يكونون أشدَّ شركًا في الشِّدة .

الثاني: أنَّ المشركين الأوَّلين يوحِّدون الله في ربوبيَّته، ويشركون به في ألوهيَّته، وأما مشركو زماننا فشركهم في الربوبيَّة والألوهيَّة .

الثالث: أنَّ المشركين الأوَّلين أعرف بمعنى العبادة من المتأخِّرين، لأنهم سمّوا ما يتوجَّهون به لغير الله عبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾، وأمَّا المتأخِّرون فيسمُّون عبادة غير الله توسُّلًا ومحبةً للأنبياء والأولياء والصَّالحين، إلى غير ذلك من تسمية الشَّيء بغير اسمه.

الرابع: أنَّ المشركين الأوَّلين أعرف بمعنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ من المشركين المتأخِّرين .

الخامس: أنَّ المشركين الأوَّلين لم ينكروا من الأسماء والصفات إلا (الرحمن)، وإنَّما أنكروه مكابرةً، وإلَّا فقد جاء في أشعار الجاهليِّين ما يدل على أنَّهم كانوا يقرُّون به، وأمَّا مشركو زماننا فأنكروا جُلَّ الأسماء والصِّفات .

السادس: أنَّ المشركين الأوَّلين عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين، وهؤلاء لا شكَّ في صلاحهم وقربهم من الله، وعبدوا الأحجار والأشجار وهذه لا تعصي الله؛ بل تسبِّحه وتعبده والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء:٤٤]، وأمَّا مشركوا زماننا فعبدوا الفسقة؛ بل الكفرة.

خلاصة القاعدة:

أنَّ دين المشركين الإخلاص لله عند الشِّدة، والشِّرك به في حال الرَّخاء.

فكيف بمن أشرك به سبحانه في حال الرَّخاء والشِّدة؟ كما هو حال الكثير من النَّاس اليوم؛ بل وكيف بمن كان شركه في الشِّدة أشدُّ؟.

ودين المرسلين الإخلاص لله في كل حال؛ في الرَّخاء والشِّدة، قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ ﴾[الزمر:١١-١٢]، وقد حصل بهذه القاعدة -ولله الحمد- كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

قال الشيخ رحمه الله: (**تَمَّتْ وصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**)

(**تَمَّتْ**): أي اكتملت القواعد الأربع، (**وصَلَى اللهُ**) : قال أبو العالية : (صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء)، أخرجه البخاري عند حديث رقم(٤٧٩٧)، وصلاة الملائكة الدعاء للمؤمنين والدليل قول النبي ﷺ: «الملائكة تصلِّي على أحدكم ما دام في مصلَّاه، ما لم يُحْدِث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،والدليل على أنَّ الصلاة في اللغة تعني الدُّعاء، قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣ ﴾ [التوبة:١٠٣] قال ابن كثير رحمه الله :(﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾ ادع لهم واستغفر لهم).

وقوله:(**وَآلِهِ**) إذا أتت مفردة –أي لم تقرن بالأتباع- فمعناها: المؤمنين عامة من بعثته إلى قرب قيام الساعة، وأما إذا أتت مقترنة بـ(**صَحْبِهِ**)صار معنى (**آلِهِ**) المؤمنين من قرابته –يعني آل بيته–.

آل النبـــي هـــم أتـــباع مـــلته ... على الشريعة من عجم و من عرب
لـــو لم يـــكن آلـــه إلا قرابتـــه ... صلى المصلي على الطاغي أبي لهـب

* **الصحابي :** من لقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك وإن تخلَّلت ردَّة.

* **التابعي:** من لقِيَ صحابيًّا، ومات على الإيمان.

* **المخضرم :** من أدرك زمان النبوَّة، وأسلم ولم يلق النبيَّ ﷺ.

قوله :(**وَسَلَّمَ**) أي من النقائص والعيوب كما قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات:١٨٠]، فالسلامة للنبيِّ ﷺ ولغيره تطلب من الله، ومن هنا يتبيَّنُ خطأ من يزيد: (وإليك السلام) من وجهين:

الأول : فيه نسبة النقص والعيب إلى الله ﷻ، فالله ﷻ هو المسلِّم لعباده من المهالك والآفات والشرور، والسَّلام يُطلَب منه ولا يطلب له، فقد بوَّب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه الفريد التوحيد؛ (**بابٌ لا يقال السلام على الله**)، وأورد تحته حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين: قال كنَّا إذا كنَّا مع النبيِّ ﷺ في الصلاة، قلنا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلانٍ وفلانٍ، فقال النبيُّ ﷺ : «لا تقولوا السَّلام على الله، فإن الله هو السَّلام»، قال الشيخ سليمان ابن عبد الله رحمه الله في تيسير العزيز الحميد(صـ٥٦٢): (لما كان حقيقة لفظ الإسلام السَّلامة والبراءة والخلاص والنَّجاة من الشَّر والعيوب، فإذا قال المسلم: السَّلام عليكم؛ فهو دعاء للمُسَلَّمِ عليه، وطلبٌ له أن يَسْلَم من الشر كله، والله هو المطلوب منه لا المطلوبَ له، وهو المدعو لا المدعوَ له، وهو الغنيُّ له ما في السَّموات وما في الأرض، استحال أن يُسَلَّم عليه ﷻ، بل هو

المسَلِّمُ على عباده كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل:٥٩]، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١﴾ [الصافات:١٨١]، وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾[الأحزاب:٤٤]، فهو السَّلام ومنه السَّلام لا إله غيره ولا ربَّ سواه).

الثاني : عدم ثبوت هذا اللفظ في السُّنة، والثَّابت في السُّنة ليس فيه هذه الزيادة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبيُّ ﷺ إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللَّهم أنت السَّلام ومنك السَّلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»، رواه مسلم.

وختامًا فإنِّي أوصي طلَّاب العلم بكُتُب هذا الإمام، لاسيَّما كُتُبُه في تقرير التَّوحيد، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر (١/ ١٥٨): (ولا تستطِلْ ما قرَّره هذا الإمام الجليل، في هذا الأصل الأصيل، الذي بعثت الرُّسل، وأنزلت الكتب، وجرِّدت السُّيوف من أجله، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، فلقد أجاد وأفاد، ووضَّح معتقد السَّلف الصَّالح بعد أن باد، وأرخى عنان يَرَاعِه، فأبدى وأعاد، حتى قلع الشِّرك من نجدٍ بعد أن شاد، وأطَّد الإسلام فاستضاء به الحاضر والباد، وسيمرُّ بك - إن شاء الله - ما يثلج الصَّدر، من محض الحقِّ، وصريح الدِّين، الذي لا يمازجه دين الجاهليَّة).

تم الشرح والحمد لله رب العالمين

وسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ